مرويات الإدغام في القراءات القرآنية

نأخذ الآن في إيراد ما رُوي من القراءات القرآنية ممّا جاء من الأحرف مُدْغماً بالضّاد، وذلك على نسق ما ذكرته من قبل من إدغام الأحرف بالضّاد.

١ - إدغام التّاء في الضّاد:

جاء في كِتاب الله موضع واحد وَقَع فيه هذا الإدغام وهو قوله تعالى:
﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾(١١١).

ولقد أَدْغمَ(١١٢) التّاء في الضّاد أبو عمرو من رواية اليزيدي، وشجاع ويعقوب وابن مهران وخلّاد من طريق ابن خيرون، وهي مروية عن حمزة أيضاً من رواية خَلّاد. وأما بقيّة السّبعة فقد وردت الرّواية عنهم بالإظهار، وليس في كتاب الله تعالى تاء بعدها ضاد غير هذا الموضع.

٢ - إدغام الثّاء في الضّاد:

جاء هذا في موضع واحد لا ثاني له في كتاب الله تعالى وهو قوله:
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾(١١٣).

فقد أَدْغمَ(١١٤) الثّاء في الضّاد أبو عمرو ويعقوب بخلاف عنهما، وقرأ بقية القُرّاء من السّبعة والعشرة ومن وراءهم بإظهار الثّاء.

٣ - إدغام الدّال في الضّاد:

إذا عَدَلْتَ عن المِثال المصنوع والقول الموضوع في تصانيف المتقدّمين إلى

القِراءات القرآنية وجدت هذا كثيراً في كتاب الله تعالى، ومن ذلك: دال «قد»، و«لقد»، حيث جاءت، ومثله دال «بعد».

ويورد علماء القراءات في باب الإدغام عنواناً يذكرون تحته حكم دال «قد»[١١٥] مع الضّاد وغيره من الحروف، ويعممون حُكم الإدغام، ثم يعودون في فَرْشِ الحروف لتفصيل ما أجملوه من قبل في موضع كُلّ آية من آيات القرآن الكريم، حيث ورَدَت فيه هذه الصورة.

وممّا يذكره صاحب النشر[١١٦] دلالةً على هذا الكثير ثلاثة شواهد قُرآنية: قد ضلّ، قد ضلّوا، قد ضللت.

ثم يذكر أنّ المدغمين للدّال في الضّاد هم أبو عمرو وحمزة والنسائي وخلف وهشام وابن ذكوان وورش.

ومن تركَ من القُراء السّبعة وهم نافع وابن عامر وابن كثير وعاصم، ويعقوب من العشرة وكذا أبو جعفر فإن قراءتهم على الإظهار.

ولقد أحصيتُ هذه المواضع التي وردت فيها دال بعدها ضاد فوجدتها كما يأتي:

أ - ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾: سورة النساء ٤/ ١٦٧، سورة المائدة ٥/ ٧٧، سورة الأنعام ٦/ ١٤٠، سورة الأعراف ٧/ ٣٧، ١٤٩ .

ب - ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾: سورة الأنعام ٦/ ٥٦ .

جـ - ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾: سورة البقرة ٢/ ١٠٨، سورة النساء ٤/ ١١٦، ١٣٦، سورة المائدة ٥/ ١٢، سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٦ .

د - ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾: سورة الصّافات ٣٧/ ٧١ .

هـ - ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: سورة الرُّوم ٣٠/ ٥٨، الزُّمر ٣٩/ ٣٧ .

و - ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: سورة يونس ١٠/ ٢١، هود ١٠/ ١١، فُصِّلت ٤١/ ٥٠ .

ز - ﴿ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾: سورة الرُّوم ٣٠/ ٥٤ .

فهذه ستة عشر موضعاً روي فيها إدغام الدال في الضّاد، ولقد كان الأولى بالمتقدّمين أخذ أمثلتهم من هذه الشواهد الكثيرة بدلاً من الوقوف عند «ضمرة وضَرَمة»، وضربهم المثال بأفعال متغايرة تسبقهما.

وأذكر هنا في هذا المقام أربعة نماذج من صور مختلفة للكلمات مما وقع فيه إدغام الدّال في الضّاد، وهي:

الصورة الأولى: «فقد ضَلّ» وكان الموضع الأوّل في سورة البقرة في قوله تعالى[١١٧]: ﴿... وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

فقد أدغم[١١٨] الدال في الضّاد أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وهشام وابن ذكوان وورش والأعشى عن أبي بكر عن عاصم.

وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ونافع وقالون وأبو جعفر ويعقوب وقالون بإظهار الدّال.

وكذا جرى الأمر مع دال قد، ولقد، حيث جاء، ولا تجد حديثاً عند علماء القراءات غالباً في بيان أسباب صحة هذا الإدغام وعلّة وقوعه؛ إذ كان همّهم تحقيق الرواية بالإدغام، واستعراض القراءة على هذه الصورة.

الصورة الثانية: وهي قوله تعالى[١١٩]:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ...﴾.

وقراء[١٢٠] الإدغام للذّال في الضّاد ممّن سبق ذكرهم في «فقد ضلّ» في الموضع السّابق تكرّر هنا في هذا الموضع، فقد اختلفت صورة الفعل غير أن العلّة الموجبة للإدغام ما زالت على حالها.

الصورة الثالثة: وهي ﴿مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾، وقد جاءت في قوله تعالى[١٢١]:

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ . . .﴾.

فقد أدغم[١٢٢] الذّال في الضّاد أبو عمرو من السبعة، ويعقوب من العشرة بخلاف عنهما.

ولم يكثر هنا قراء الإدغام كثرتهم في الشّاهدين السّابقين، ولعلّ العِلّة هي سكون ما قبل الذّال، وتتابع ساكنين بعد الإدغام: الأوّل من «بَعْد» ساكنٌ بالأصالة، والذّال مسكّنة من أجل الإدغام.

الصورة الرابعة: ﴿ بَعۡدِ ضَعۡفٖ﴾، وذلك في قوله تعالى[١٢٣]:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ . . .﴾.

وإدغام[١٢٤] الذّال في الضّاد كالصورة السّابقة مرويّ عن أبي عمرو ويعقوب بخلاف عنهما، ولا أجد علّة لقلّة القرّاء هنا إلّا العلّة التي سقتها للصورة السّابقة.

إدغام الذّال والطّاء والظّاء في الضّاد:

ليس في آيات القرآن الكريم ذال أو طاء أو ظاء بعدها ضاد، ولذلك فلا حديث في القراءات عن هذه الصور من الإدغام، ويبقى حديث اللُّغويين وأمثلتهم التي تقدّمت هي الصورة المفترضة لهذا النوع من أنواع الإدغام.

٧ - إدغام اللاّم في الضّاد:

وردت آيات فيها إدغام اللاّم بالضّاد وذلك على صورتين الأُولى: في لام «أل»، والثانية مع لام «بل».

أ - مع لام «أل»:

وورد من إدغام هذه اللاّم في الضّاد في الآيات القرآنية ثلاثة شواهد هي:

الضّالون، الضّالين، الضّلال

وحقيقة صورة الإدغام واحدة وإن اختلفت صورة اللّفظ، وحَصْرُ هذه المواضع على ما يأتي:

١ - ﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: في سورة آل عمران ٣/ ٩٠، والحجر ١٥/ ٥٦، والواقعة ٥٦/ ٥١، والقلم ٦٨/ ٢٦، والمُطففين ٨٣/ ٣٢.

٢ - ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾: سورة الفاتحة ١/ ٧، والبقرة ٢/ ١٩٨، والأنعام ٦/ ٧٧، والشعراء ٢٦/ ٢٠، ٨٦، والواقعة ٥٦/ ٩٢.

٣ - ﴿ٱلضَّلَٰلُ﴾: سورة إبراهيم ١٤/ ١٨، سورة الحج ٢٢/ ١٢، وسبأ ٣٤/ ٨.

ولا تجد عند علماء القراءات حديثاً عن هذا الإدغام؛ إذ هو من اللاّزم بالضرورة، مع أنه قد تقدّم عن الكسائي في حديثي من قبل أنّه أجاز البيان، إلّا أنه لم تُرْوَ عنه القراءة بذلك، ولا أَعْلَمُ لهذا الخلف في القول عِلّة ظاهرة.

ب ـ مع لام «بل» و«هل»:

ذكرتُ من قبل أن عُلماء القِراءات عَقدوا لإدغام اللّام في هذين الحرفين فيما بعدها فصلاً [١٢٥]، وذكروا الخلاف في إدغام اللّام فيها وإظهارها عند ثمانية أحرف وهي:

التّاء والثّاء والزّاي والسّين والضّاد والطّاء والظّاء والنُّون.

وما يهمّني هنا هو إدغام اللّام بالضّاد، وقد جاء ذلك في شاهد واحد وهو قوله تعالى[١٢٦]: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

ولقد قرأ بإدغام[١٢٧] اللّام في الضّاد قارئ واحد، وهو الكسائي، ووافقه على هذا ابن محيصن.

وقراءة الباقين بالإظهار، والإظهار هو لغة الحجاز.

ومما تقدّم تجد غنى القراءات القرآنية بشواهد الإدغام، مما تجافت عن ذكره مصنفات المتقدّمين إلّا قليلًا، إلى أَمْثِلَة ما أنزل لسان العرب بها من سلطان.

وأكثر ما تقدّم من هذه الشواهد إنّما هو إدغام الدّال في الضّاد، وكذا لام «أل». وأمّا ما اختلف فيه فهو ما سُبقت فيه الدّال بحرف ساكن، وأما الممتنع فهو الدّال والطّاء والظّاء، وحجتنا في القول بامتناعه أنّه لم تَرِد له صورة في القِراءات القُرآنيّة، ولا عِبْرَة في ذلك بما سَبَق من مصنوع الأَمْثِلَة.

* * *